

وظيفة الحلي في الحياة الاجتماعية والثقافية Le rôle des Bijoux dans la vie socio-culturelle

خولة نجيمي¹ ، هجيرة تمليكشت² *

¹ جامعة الجزائر 2 - معهد الآثار (الجزائر) - khoukhakhaoula13@gmail.com

² جامعة الجزائر 2 - معهد الآثار (الجزائر) - hadjiratame@yahoo.fr

تاريخ الإستلام : 2020/06/30 تاريخ القبول : 2020/12/08 تاريخ النشر : 2020/12/29

الملخص:

لعبت الحلي دورا هاما في حياة الأفراد و المجتمعات، فهي الى جانب كونها زينة تتحلى بها المرأة ، فقد أدت عدة أدوار اجتماعية واقتصادية باعتبارها تعكس الوضع الاجتماعي لصاحبيتها وكذا مركزها الاقتصادي، كما أنها تحمل بذاتها دلالات رمزية ،و حتى الزخارف التي نفذت عليها لها رمزيتها.

الكلمات المفتاحية: المصاغ، الحلي، الوظيفة، الاتصال الغير اللفظي، الزخرفة، أداة.

Résumé :

Les bijoux ont joué un rôle important dans la vie des individus et des sociétés. En plus d'être un ornement dont les femmes se parent, elles ont joué de nombreux rôles sociaux et économiques car elles reflètent le statut social et économique de leurs propriétaires, Parce qu'il porte des connotations symboliques, et même ses motifs Ses motifs ont leur symbolisme.

Mots clés :

Bijoux, fonction, communication non verbale, décoration, outil.

*المؤلف المرسل .

مقدمة:

مَنْ اللهُ سبحانه وتعالى على عباده بما أنزل إليهم من الزينة التي تحسن هيئاتهم وتشعرهم بمتعة الحياة ، فقال عز من قائل في كتابه الكريم: " قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..." (1).

وهنا يبين الله تعالى أن الزينة والطيبات من بها على عباده المؤمنين لينتفعوا بها، ومن الزينة بل ومن أجمل الزينة الحلبي التي تشمل الذهب والفضة والبلاطين والجواهر واللآلئ والياقوت وغيرها، فالحلي ذكر أكثر من مرة في القرآن الكريم فنجد قوله عز وجل: " مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلٌّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا..." (2).

والحلية المستخرجة هي اللؤلؤ والمرجان (3). وفي آية قرآنية أخرى قال تعالى:

" أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ..." (4)، أي ابتغاء التحلي بكل ما يستخرج من الأرض من معادن كالذهب والفضة والجواهر، وقال تعالى: " وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَغْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ..." (5).

وغیرها من آیات القرآن الكريم التي وردت فيها لفظة الحلبي والزينة، فنجد أن الله تعالى خلق للإنسان كل أسباب السعادة والهناء منها الحلبي التي يتجمل بها، فالمرأة تحب الجمال، وتحب أن تحوز إعجاب زوجها، حتى يراها دائما في صورة تجذبه إليها وتحببه فيها، فقوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله جميل يحب الجمال

¹ - سورة الأعراف ، الآية 32.

² - سورة فاطر الآية 12.

³ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - محمد بن أحمد الأنصاري - دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، القاهرة، 1387 هـ 1967م، ص 86.

⁴ - سورة الرعد، الآية 17.

⁵ - سورة الأعراف، الآية 148.

"(6) وهذا الحديث يبين أن الله يحب الجمال، ففيه توجيه للمسلمين والمسلمات لكي يهتموا بجمال مظهرهم من حسن هيئة كاللباس والحلي وجمال صورة وغيرها(7).

1- تعريف الحلي:

إن الحلي فن شعبي(8)، وهو انجاز إنساني وبشري وجمالي يظهر فيه إبداعه، وهو شكل من أشكال التعبير عن الحضارة الإنسانية ومكوناتها، والتزيين ما تتطلبه حياتها اليومية، أو ما تتطلبه عقائدها الفطرية أو أفراسها، أو مناسباتها على اختلاف غايتها ومظاهرها ومن هنا يمكننا أن نعرف الحلي لغتها واصطلاحاً كالتالي:

لغة:

ما تزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة(9)، فالحلي (بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء) جمع الحلي (بفتح الحاء وتسكين اللام) مثل ثدي وثدي، وأصله خلوي على وزن فاعول(10). وهي كل ما يزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة الكريمة. وحلية الإنسان أي ما يرى من لونه وظاهره وهيئته(11).

فتحلت المرأة بمعنى لبست الحلي(12).

والحلية كالحلي جمعها حلي كل حية ولحي وجزية وجزي(13)، ويقال عن الحلي:

كأنها من حسن وشارة والحلي حلي الدبر والحجارة(14)

-
- 6 - جزء من حديث رواه مسلم أنظر، صحيح مسلم بشرح النووي- يحيى بن شرف- دار الفكر - بيروت - 1392 هـ 1073 م.
 - 7 - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، ج9، مطبعة دار الكتب المصرية، 1934، ص.
 - 8 - معرض الفنون التقليدية، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ص02.
 - 9 - علي ريغتس، أحكام الحلي في الفقه الإسلامي، رسالة الماجستير في معهد الآثار، جامعة الأردن، 2000، ص08.
 - 10 - محمد عثمان شبير، زكاة الذهب والفضة والمجوهرات، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1407 هـ-1986، ص 19.
 - هنادي سمير نامق كنعان، الحليات المعمارية في القصور العثمانية في البلدة القديمة بنابلس - دراسة تحليلية، رسالة الماجستير في هندسة العمارة، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2010، ص 57.
 - 12 - الفيروز باري، قاموس، ج1، ص320.
 - 13 - أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت (ت 811) ص 286.
 - 14 - علي بن إسماعيل بن سيدة، المخصص، ج4، تونس، 1956، ص90.

فالحلي من ضروب الزينة التي عرفت منذ أقدم العصور وكان يقال للمرأة التي تتزين بها (امرأة حال) أما إذا لم يكن عليها حلي فهي (عاطل أو عطل) (15).

اصطلاحا:

فإنه لا يخرج عن المعنى اللغوي وهو ما تتحلى به المرأة من الذهب والفضة (16).
بعدها بينا معنى الحلي في اللغة والاصطلاح ننقل الى أهميته ودوره لما يعكسه من تفسير وتوضيح للعديد من الجوانب الاجتماعية والثقافية، العقائدية والاقتصادية والفنية والتقنية.

2- أهمية ودور الحلي:

لقد حملت الحلي العديد من القيم المعنوية والمادية والجمالية التي أعطتها أهمية فنية وتاريخية.
فلم يقتصر استخدام الحلي كأدوات تجميلية للزينة فقط بل حملت في طياتها توضيحا للسلوك البشري وما حمله من ثقافات ومعتقدات دينية، وذلك بما وفرت له البيئة المحيطة به من مواد لتحقيق هذه الغايات ومعرفة مدى تأثيره وتأثره بالثقافات المجاورة له وأشكال هذا التأثير (17).
وإن مدلول الحلية التقليدية معقد، لأن الحلية تحمل في ذاتها صورا على الطبيعة البشرية وعن المرأة على وجه التحديد ولكنها تجسد في نفس الوقت قرونا من حضارة وفضت الاستسلام إنها بمثابة ثقافة تعبر عن شخصية عرفت الصمود في وجه الالتماسات الغريبة، وجمعت الإبداع والذكاء والذوق والأمل والسعادة والرضوخ أيضا لتتنبهم (18).

15 - علي بن إسماعيل بن سيدة، المصدر السابق، ص 42.

16 - حاشية بن عابدين، محمد أمين ابن عابدين - دار الكتب العلمية، بيروت (3، 277)، ص 75.

17 - ايلانيت هاني عبد اللطيف عامر، الحلي والمجوهرات البيزنطية من مقبرة خربة ياجور، رسالة ماجستير في الآثار، الجامعة الاردنية، 2004، ص 18.

18 - يوسف نسيب، واحة بوسعادة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 2013، ص 87.

ف نجد أن الزينة والتجمل بالحلي لم يكن وليد عصرنا هذا بل كان شيء عرفته البشرية بفطرتها من قديم الزمان واحتلت مكانة عالية عند المرأة في المجتمعات تلبسها في الأعراس والاحتفالات وحتى في الحياة اليومية، فتعتبر الزينة قديما حركة وسلوكا سحريا، كما تعتبر المجوهرات في البداية طلسمات وتعويذة⁽¹⁹⁾.

ان بقاء عدة تقاليد مرتبطة بالحلي والتشابه الذي يمكننا أن نشاهده مع تقاليد الشعوب الحالية يسلط الضوء على العديد من الوظائف التي تتميز بها الحلي في المجتمعات القديمة، فنلاحظ الوظيفة السحرية والدينية والوقائية والوظيفة الجمالية والوظيفة الاجتماعية حتى لو كانت دلالات بعض الحلي مثل الرسومات الجسمانية والوشم والتعويذة والتماثيل، تظهر أقل وضوحا وبديهية بالنسبة للذين يستعملونها حاليا بحيث يعود وجودها الحالي إلى دلائلها الأصلية⁽²⁰⁾.

إضافة إلى تلك الوظائف السابقة فهناك وظائف وأدوار أخرى للحلي كالقيمة الفنية أو الثقافية أو الاقتصادية والتاريخية وكذا التقنية والصناعية وكذا دورها في البدلة السنوية ودورها في الاتصال الغير اللفظي للمرأة من خلال هذه الحلية التي تحمل في طياتها الكثير لتعبر عنه من خلال مايلي:

03-1 الوظيفة السحرية والدينية: تكمن أهمية الحلي في ارتباطها الوثيق بالمعتقدات الدينية،

إضافة إلى ما ترتب على اعتقاد الإنسان قديما وإيمانه بفوائدها الطبية والسحرية⁽²¹⁾.

وخلال عصور ما قبل التاريخ كان يرمز لبس الحلي لدور ديني أو سحري⁽²²⁾

فارتبطت هذه الصناعة وتأثرت بما كانوا يمارسونه في بيوتهم من عقائده، وما توارثوه من عادات في هذا المجال من أمور، بعضها يتصل بالدين وبعضها الآخر بالعادات والتقاليد التي تنزل بعض الأشياء منزل

¹⁹ - فريدة بن ونيش، المجوهرات والحلي في الجزائر، وزارة الإعلام، الجزائر، النشرة الثانية، 1982، ص11.

²⁰ - ben foukhal (T), le bijoux ou fil des sicle, paris, 2003, p13

²¹ - ايلانيت هاني عبد اللطيف عامر، المرجع السابق، ص 18.

²² - الحلي والمصوغات الجزائرية عبر التاريخ، وزارة الثقافة، تلمسان، 2011

الخرافة، وتربطها بالغيبيات، لا لشيء إلا لكي تجد ما تستريح له في داخلها، وتهرب له من واقعها⁽²³⁾.
وكما ذكرنا سابقا أن الحلي قديما حركة وسلوكا سحريا وكذا طلسمات وتعويذة بالنسبة للإنسان البدائي، فاستعمل مجموعة من العناصر لذلك، والمتمثلة في الأنواط والتمائم "التعويذات" التي قام باختيارها بعناية إلى أن اكتشف وظيفتها الجمالية التي جاءت لتكمل دورها الوقائي⁽²⁴⁾.
وعليه فقد كانت هذه الأنواط ولا تزال تستعمل منذ زمن كجانب من جوانب السلوك الديني⁽²⁵⁾.

03-2 وظيفة الحماية العلاجية والوقائية:

تلعب الحلي دورا وقائيا كالجدار الذي يواجه مختلف الظروف الخارجية⁽²⁶⁾، فلقد أظهرت بعض الدراسات الخاصة بأشكال التزيين الأولى للجسم، مكانة هذه الأنواط التي كان الإنسان يعلقها في رقبته للحصول على فوائد العلاجية والوقائية⁽²⁷⁾، فارتداؤها بقي الجسد من المخاطر الخارجية المجهولة⁽²⁸⁾، بحيث تقوم بوقاية صاحبها من أمور عدة وقوى شريرة كعين الحسود التي تخاف النساء من قدرتها على إصابتها بالعقم وتستمد هذه الوظيفة قوتها من الرمزية التي تحملها الأشكال الداخلة في تكوينها⁽²⁹⁾، هذه الرمزية تتجلى في المعنى أو الدلالة التي تحملها تلك الحلية حسب معتقداتهم كالتالي:

²³ - فريدة بن ونيش، مرجع سابق، ص 07.

• الأنواط عبارة عن عناصر كان الإنسان في الفترات الأولى لظهور الحلي يأخذها من الطبيعة ويضعها ويضعها على جسمه تبركا بفوائدها العلاجية والوقائية، ولقد تطورت مع مرور الوقت لتتخذ أشكالا متنوعة من المعادن المختلفة بحيث تضاف كأجزاء متدنية من بعض أنواع الحلي وهذا إما لقيمتها الجمالية أو العلاجية

²⁴ - جمعة محمد لطفي، مباحث في الفلكلور، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص ص 47-48.

²⁵ - الخطيب محمد، الأنثولوجية، دراسة المجتمعات البدائية، منشورات دار علاء الدين، ط1، دمشق 2000، ص 144.

²⁶ - عائشة حنفي، الحلي الجزائرية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، ج2، وزارة الثقافة الجزائر، 2013، ص 08.

²⁷ - نفسه... ج1، وزارة الثقافة الجزائر، 2013، ص 17.

²⁸ - عائشة حنفي، مرجع سابق، ص 20.

²⁹ - المرجع نفسه، ج2، ص 08.

أ) اليد أو الخامسة: تعتبر اليد من العناصر الرمزية الأكثر شيوعاً، فهي بمثابة طلسم تحمي صاحبها من الحسد ومن العين، وتمدد في حياته، إذ يرى فريق من الباحثين أنها ترمز إلى الإخلاص والقوة والسلطة والسيطرة والعدالة⁽³⁰⁾.

الصلب والنجمة واليد والعين يرمز للقدرة على إبعاد العين الشريرة⁽³¹⁾، فهي وظيفة الحماية ضد مخاطر "صيبة العين" أو بالمختصر ضد "العين"، وهذا الاعتقاد بعينية العين ممكن أن يكون قد بدأ مع أي كان، ولكن المتعارف عليه أنه بدأ من قبل النساء المسنات هذه "الصيبة" يمكنها أن تحدث العقم عند النساء والعجز عند الرجال، حيث كتب الشيخ النفراوي في بداية القرن الخامس عشر مخطوطة تحت عنوان "المرجع السابق" يقول فيه: "أحفظ نفسك جيداً من النساء المسنات الذين يمنحونك المناجاة، فهذه المناجاة ليست سوى سم الأفعى الرقطاء"⁽³²⁾.

فالعقد خمسة نجده مسيطراً سيطرة كاملة عند أصحاب صناعة الصاغة، الذين يشكلون قطعاً متنوعة على شكل دائرة أو مثلث ثم يرصعونها أيضاً على شكل اليد ويلبسونها لنفي الأذى وطرد العين⁽³³⁾.

ب) السمكة أو "الحوتة": لكثرة بيضها فهي رمزا للخصوبة⁽³⁴⁾ ترتديها المرأة أو الرجل خوفاً من عدم انجابهم أو اصابتهم بالعقم.

ج) الثعبان: يمثل رمز البعث أو إحياء الأموات والأرض نظراً لاتصاله بها عن طريق انسلاخ جلده القديم وتغيير جلد جديد، بالإضافة إلى أنه بمثابة الكفيل لصحة الرجل ولخصوبة المرأة⁽³⁵⁾، أما عند القدماء فهو رمز للعلم، وفي المعتقدات الشعبية ففقدرة لتفجير الينابيع وتفتيق الحبوب⁽³⁶⁾.

³⁰ – chevalier jet Debrant A, Dictionnaire des symboles, paris, 1974, P159.

³¹ – فريدة بن ونيش، مرجع سابق، ص 11.

³² – أ. بينول تعريب نبيل سليمان اللباس والزينة في العالم العربي، دراسة موثقة بالصور مع 300 مرجع حول الموضوع، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، ط2، 1417هـ، 1997م، ص 51.

³³ – عائشة حنفي، المرجع السابق، ج2، ص 07.

³⁴ – فريدة بن ونيش، مرجع سابق، ص 11.

³⁵ – savary .jp, Anneaux de chevine, inlibyca.t.XIV, 1966.

³⁶ – فريدة بن ونيش، المرجع نفسه، ص 22.

تلك الرمزية التي تتخلل مضمون الحلية سادت معتقدات تلك المجتمعات التي لم تعرف الكتابة والتي كانت مجتمعات زراعية⁽³⁷⁾، فكانت تضع مجموعة من الدلالة حسب معتقداتها كما ذكرنا سابقا: اليد، السمكة، الثعبان، الصليب، النجمة والعين وغيرها من دلالاته ففي مجتمع يعد فيه الشيطان عدوا لدودا للإنسان، فإن الأداء التي تبعده على مسافة هي علاج واق يجله الناس ويقدرونه⁽³⁸⁾ لأن المرأة في الواقع لا تعير أهمية كبيرة لحليها التقليدية إلا من ذلك الرمز الكامن فيها⁽³⁹⁾.

3-03 الوظيفة الجمالية التزيينية:

كثير من هذه الحلي والجواهر كانت تداعب القلب بجمال شكلها ودودة مادتها وتبهير العين ببريقها وزهو ألوانها وتجلب الأنظار في مهارة صنعها فتقلدوها وتزينوا بها⁽⁴⁰⁾، فتتصف بصفات منحها سمات جمالية مميزة كاللون واللمعان والأسطح الملساء الناعمة⁽⁴¹⁾.

فاهتم الإنسان منذ القدم بزينة الرأس... وإحاطته بتاج ذهبي مرصع بالحجارة الكريمة، إضافة إلى استخدام الأشرطة المزركشة على هيئة عصا لربط الشعر مع الجبين واستخدام الأقراط بمختلف أشكالها وأنواعها وألوانها على مر العصور لتزيين الإذنين، كما اهتم الإنسان بتزيين منطقة الصدر والعنق بالقلائد والعقود التي تعد من أقدم أشكال الحلي ظهورا واستخداما لسهولة صنعها إذا كانت في بداياتها بسيطة جدا تصنع من الأصداغ والعاج وتطورت عبر العصور إلى أن وصلت إلى مرحلة عالية من التقنية، واهتم الإنسان أيضا بتزيين الأطراف ويتمثل ذلك في زينة اليد بالأساور والخواتم إضافة إلى تزيين الأرجل بالخلاخيل⁽⁴²⁾.

³⁷ – vivre Marie finace, Algérie mémoire de femme au fil des doigts, paris, 2003, p405.

³⁸ – يوسف النسيب، مرجع سابق، ص 94

³⁹ – فريدة بن ونيش نفس المرجع السابق، ص 11.

⁴⁰ – عائشة حنفي، المرجع السابق، ج 1، ص 29.

⁴¹ – ايلانيت هاني عبد اللطيف عامر، المرجع السابق، ص 20.

⁴² – البكر محمد، الزينة في العصور القديمة، مجلة المأثورات الشعبية، العدد 27، 1990، ص ص 82-83،

03-4 الوظيفة الاجتماعية العائلية:

إن الميل الذي يوليه الناس لاقتناء الحلي بصفة خاصة الى المفهوم الاجتماعي... تعتبر وسيلة للافتخار والظهور وعرض الثروة، كما تعتبر وسيلة لإبراز المكانة الاجتماعية، إذن فالثروة والمكانة الاجتماعية كانت تقدر في الماضي بمدى كمية المجوهرات التي تمتلكها المرأة وترتديها في مناسبات الأفراح المختلفة (43).

إن ارتداء الحلي يعطي للجسد منظرا، يوحي برمزية فردية واجتماعية في آن واحد، فلبس الخاتم في الأصبع اليوم يعني أو يترجم ارتباط اجتماعي هو الزواج⁽⁴⁴⁾، فكل النساء ترغب في التزيين بالحلي لتظهر في قمة جمالها أكانت غنية أو فقيرة، ففي الحياة وفي المناسبات الاحتفالية، تعمل على إبراز بها شعرها وجبهتها وعنقها وأذنها وذراعها وأصابعها وكعبها⁽⁴⁵⁾.

إن الحلي يلعب دورا هاما في الحياة العائلية والاجتماعية والاقتصادية للمرأة، ويتجلى هذا الأخير خاصة أثناء الاحتفال بالأعراس حيث ترتدي العروس أو الفتاة المخطوبة وتزين بأرقى وأفخم ما لديها⁽⁴⁶⁾، فالمرأة مهما كان مستواها الاجتماعي لابد من أن ترتدي على الأقل سوار أو قرطين للأذنين أثناء الأعمال اليومية بالإضافة الى مجوهرات مخصصة للأعياد والأفراح وبقيّة المناسبات الأخرى، ولما كانت المجوهرات تكون جزءا من مهر الفتاة، فإنها تبدأ في جمعها في السن المبكر فهي تحصل على سوارين وقرطين بمناسبة أو صيام، وعند إتمام الخطوبة فإن والدي الخطيب يقدمان لها مجموعة من المجوهرات كي ترتديها أمام المدعوين للتعرف على قيمة ثمنها ويبقى اقارب الزوج يرسلون لها في كل مناسبة او عيد ديني حلية تدعى المهيبية وعند الزفاف فأقارب الفتاة هم الذين يتممون للعروس ما تبقى من الحلي الضرورية لمثل هذا الحدث

⁴³ - فريدة بن ونيش، مرجع سابق، ص 11

⁴⁴ - حنفي عائشة، مرجع سابق، ج 1 ص 20.

⁴⁵ - الحياة اليومية في مدينة الجزائر، المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، الجزائر، 2007، ص ص 36-38

⁴⁶ - الحياة اليومية في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 38.

الهام، وفي يوم الزفاف تبرز العروس كل ما عندها من الحلي، لأن ذلك بالنسبة للأسرة يعتبر وسيلة للتباهي وللافتخار بالثروة⁽⁴⁷⁾.

03-5 الوظيفة الفنية الثقافية:

لم يقتصر اهتمام الإنسان قديما على جمع الحلي والمجوهرات وإنما أخذ يعمل على تطويرها والتلاعب في شكلها حسب ما يمليه عليه حسه الفني والإبداعي وأيضا وما رافق ذلك من معتقدات دينية وثقافية، فقام بتشذيب الحجارة الكريمة وقطعها والنقش عليها بدقة ومهارة وروعة، فظهرت مجموعة من الموضوعات الفنية المستوحاة من الطبيعة لحيوانات وبعض أنواع النباتات إضافة الى الموضوعات الدينية ، فقد مثلت الحلي والمجوهرات وثائق فنية جسدت حياة الإنسان وفكره ومعتقداته، وتعد الحلي والمجوهرات ذات قيم حضارية مهمة تشير الى المميزات الفنية والثقافية التي عاصرت الانسان في الفترة التي ترجع إليها هذه الحلي⁽⁴⁸⁾ ، ومما سبق يتضح لنا أن الوزن الحقيقي لأي مجتمع انساني لا يقدر في عدد سكانه ومساحة أرضيته فحسب ولكن بقدر نوعية التراكم الثقافي والتراث الحضاري الذي خلفته الأجيال السابقة وبمدى التجديد والمحافظة عليه لأنه يبرز هوية الأمة وشخصيتها⁽⁴⁹⁾، وهنا يتمثل ذلك التراكم الثقافي في تلك الحلي التي تعتبر وثيقة غير ناطقة لكنها تتحدث وتعبر عن مكنوناتها من خلال زفافها وأشكالها وألوانها.

⁴⁷ - فريدة بن ونيش، مرجع سابق، ص13.

⁴⁸ - زهدي بشير، لمحة عن الأحجار الكريمة والجواهر القديمة ونماذجها في المتحف الوطني، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد (4)، ص95.

⁴⁹ - بولبوط ناصر الدين، الثقافة الشعبية والتقليدية في الجزائر، التراث غير المادي، الندوة الاقليمية حول تطبيق توصية اليونسكو بشأن صون الثقافة التقليدية والشعبية، بيروت في 10/12/1990، ص03.

03-6 الوظيفة الاتصالية غير اللفظية للمرأة:

تتميز بهذا الطابع الذي يجعلها تملك قوة في ابلاغ المعاني الخاصة وانشغالات الجماعة التي ظهرت فيها بمعتقداتهم وخرافاتهم⁽⁵⁰⁾، وهي التي تتجسد في كون الحلي وثيقة تتحدث عن الشخص الذي يضعها دون اللجوء الى استعمال الكلام، كما أنها تعكس بفضل أشكالها وخرافها واقع الإنسان ككل في المجتمع الذي تسود فيه التقاليد والمعتقدات⁽⁵¹⁾.

وعليه يتجلى الدور الاتصالي للحلي في المجتمع:

- أ- استعمال النساء -بحكم طبيعة القيم التي سادت البيئة التي كانت تعيش فيها- لحليها بدلا من اللغة اللفظية (المنطوقة) كوسيلة تثبت من خلالها رسائل اتصالية مدونة اتجاه الجماعة التي تعيش فيها.
- ب- الجانب الثاني يكمن في الحلية في حد ذاتها وتعني بذلك الأشكال والزخارف وحتى الألوان التي تزينها، تحمل هي الأخرى معلومات وهنا تثبت لنا رسائل تخبرنا عن طبيعة الأشكال والعناصر⁽⁵²⁾.

03-7 الوظيفة الاقتصادية:

هذه الحلي التي تحصل عليها المرأة تعد ملكا خاصا لها وتدخرها لضمان مستقبلها⁽⁵³⁾، وذلك كماورد في المثل الشعبي "الحدايد للشدايد" وهو قول مأثور قديم يقال أن الأدوات الحديدية تحتفظ للأوقات الشديدة . وهكذا يكون الحلي ضمانا للقوت في الحالات المالية الصعبة بالنسبة للعائلة سواء عن طريق الرهان أو البيع⁽⁵⁴⁾.

⁵⁰ - صافية قاسيمي، الاتصال غير اللفظي للمرأة الجزائرية عبر الحلي الفضية التقليدية، دراسة سيميولوجية لحلي منطقتي بني يني بالقبائل وأولاد فاطمة بالأوراس، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة بن يوسف بن خدة، 2006، 2007.

⁵¹ - عائشة حنفي، مرجع سابق، ج2، ص8.

⁵² - عائشة حنفي، مرجع سابق، ص09.

⁵³ - فريدة بن ونيش، مرجع سابق، ص13.

⁵⁴ - الحياة اليومية في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص40

فمجموع هذه الحلي يشكل نوعا من رأس المال يسهل تحويله الى نقود في حالة الضرورة الناتجة عن المرور بالصعوبات غير متوقعة أو أي حالة من حالات نفقات المناسبات⁽⁵⁵⁾ ، ففي هذه الحالات يمكن لها أن تباع حلية واحدة أو عدة حلي لتخرج سالمة من المصيبة التي أصابتها وأسرتها على أساس أنها ستعوض ما فقدته من الحلي حين تتحسن الأوضاع المالية.

فالمجوهرات في هذه الحالة تكتسي معنا اقتصاديا⁽⁵⁶⁾ وتظهر عندما تنتقل من وسيلة للزينة للمرأة بحيث تزيد المرأة من جمالها وأناقتها الى وسيلة نفعية، وإدخار وضمان اجتماعيا، وفي هذا الصدد يقول جورج مارسلي: "تعتبر الحلي سبائك متقلبة أكثر ماهي جمالية فهي مدخرات صالحة لتبادل وتباع عند الحاجة"⁽⁵⁷⁾. يستحسن ألا نتوقف عند هذه المظاهر الاقتصادية والسطحية لكي لا تحطم جمالها، لأننا كما يقول "رولاند جارت" نروج باستمرار بين الشيء وحقيقته عاجزين عن اعطائه مدلوله الشامل لأننا إذا اخترقنا الشيء حررناه ولكننا نحطمه، وإذا تركنا له وزنه واحترمناه فإننا نعيده بخرافته دائما⁽⁵⁸⁾.

03-8 الوظيفة التاريخية:

تتميز الحلي بقيمتها التاريخية المهمة لما حملته من صور الملوك والقداامي وأسمائهم والمعتقدات الفكرية التي سادت في الفترات التاريخية التي تمثلها، واشتملت بعض الأحجار على أسماء أصحابها وأسماء الفنانين الذين قاموا بتشكيلها والرسم عليها التي من خلالها يمكن بها تتبع أشكال الكتابات والخطوط وتطورها من خلال هذه الأسماء⁽⁵⁹⁾.

55 - الحياة اليومية في مدينة الجزائر، مرجع سابق ، ص 49.
56 - فريدة بن ونيش، المرجع نفسه، ص 13.
57 - عائشة حنفي، المرجع السابق، ص 8.
58 - يوسف نسيب، المرجع السابق، ص 07.
59 - ايلانيت هاني عبد اللطيف عامر، المرجع السابق، ص 22.

03-9 الوظيفة التقنية الصناعية:

إن الإبداع الفني والذوق الرفيع الذي وصل إليه الصانع في فنون التشكيل وصياغة الحلي والمجوهرات يتطلب معرفة وخبرة وموهبة وابتكار، ويتطلب دراية ومعرفة بطرق صناعتها وتشكيلها وإبرازها بشكل متناسق جميل، وبناء على ما تقدم فإن دراسة فن تقنية صناعة الحلي والمجوهرات تعكس مدى التطور الإبداعي والفني الذي وصل إليه الصانع وتتبع الأوضاع الاقتصادية من تقدم وتراجع⁽⁶⁰⁾.

03-10 الوظيفة في البدلة واللباس السنوي:

تلعب الحلي دورا مهما في البدلة النسوية، فهي تكمل وتثري ثوب المرأة وتعطيه قيمة تمتد من الرأس الى القدمين⁽⁶¹⁾، أي من فوق المحرمة أو الشاشية التي توضع وتثبت فيها العصابة أو الجبين الى غاية كاحل المرأة الذي يوضع فيه الخلاخيل.

ليس هذا فحسب بل أن مفهومه قد اتسع ليشمل قطاع الحلي على اختلاف أشكالها وأنواعها واختلاف قيمتها من الماس الى النحاس والحديد وذلك لارتباطها ارتباطا وثيقا بما يلبس من ملابس كما أنها في بعض الأحيان تمثل جزيئة من هذه الملابس لا ينفصل عنها، وحتى في حالة كونها حلي مستقلة فإن كل منها تكون ذات ارتباط وثيق بما ترتديه المرأة من ملابس بحيث تتغير هذه الحلي بتغير الملابس إذا ما أتاحت للمرأة القدرة على الاختيار⁽⁶²⁾.

وقد كانت الحلي بأنواعها ومازالت سواء كانت من الزجاج أو العظم أو الذهب أو الأحجار الكريمة ترتبط ارتباطا وثيقا بما ترتديه المرأة من ملابس فهي إن لم تكن تمثل جزءا من هذه الملابس متداخلا ضمن

⁶⁰ - موسى سلامة، مصر أصل الحضارة، المطبعة العصرية، القاهرة، 1976، ص ص 44، 45.

⁶¹ - عوف مخالفة، ترجمة سعاد خايلي، تاريخ الألبسة التقليدية الجزائرية، موقع النشر الجزائر، 2007، ص 97

⁶² - أمال المصري، أزياء المرأة في العصر العثماني، مدرسة الفنون والعمارة الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، فرع العلوم، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1999، 102.

نسيجها وتكوينها، فهي تعلق بها أو تمسك أطرافها كما أنها تلبس معها في الأيدي والأرجل والأذن وكثيرا ما تكون مرتبطة بلون الملابس وشكله⁽⁶³⁾.

خاتمة:

مما تقدم يتبين لنا الدور الهام الذي لعبته الحلي في حياة الأفراد و المجتمعات ، حيث استعملت لأغراض مختلفة و تعددت وظائفها ، منها ما هو سحري أو ديني أو وقائي أو جمالي أو اجتماعي أو فني ثقافي، اقتصادي أو تاريخي ، و يكمن دورها في الملابس النسوية كوسيلة للاتصال الغير اللفظي للمرأة من خلال هذه الحلية التي هي أكثر من أن تكون أداة للزينة والتفاخر ، بل تحاور أيضا من يفهمها ويتمعن فيها ويتدقق في أشكالها وزخارفها وألوانها.

البibliوغرافيا:

أولا : باللغة العربية

القرآن الكريم.

- 01_ أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت (ت 811).
- 02_ القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ 1967م.
- 03_ الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، ط2، دار الجيل، بيروت، ج.2.
- 04_ علي بن إسماعيل بن سيدة، المخصص، ج4، تونس ، 1956.
- 05_ يحي بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، - دار الفكر - بيروت - 1392 هـ 1073م.

⁶³ - نفسه، ص103.

المراجع:

- 01_أمال المصري، أزياء المرأة في العصر العثماني، مدرسة الفنون والعمارة الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، فرع العلوم، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1999.
- 02_الخطيب محمد، الأنثولوجية، دراسة المجتمعات البدائية، منشورات دار علاء الدين، ط1، دمشق 2000.
- 03_جمعة محمد لطفي، مباحث في الفلكلور، عالم الكتب ، القاهرة، 1998.
- 04_عائشة حنفي، الحلي الجزائرية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، ج1، وزارة الثقافة الجزائر، 2013.
- 05_عائشة حنفي، الحلي الجزائرية....، ج2، وزارة الثقافة الجزائر، 2013.
- 06_فريدة بن ونيش، المجوهرات والحلي في الجزائر، وزارة الإعلام، الجزائر، النشرة الثانية، 1982.
- 07_محمد أمين ابن عابدين، حاشية بن عابدين، دار الكتب العلمية، بيروت (3، 277).
- 08_محمد عثمان شبير، زكاة الذهب والفضة والمجوهرات، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1407هـ-1986.
- 09_موسى سلامة، مصر أصل الحضارة، المطبعة العصرية، القاهرة، 1976.

الكتب المترجمة:

- 01_أ.بينول، ترجمة نبيل سليمان، اللباس والزينة في العالم العربي، دراسة موثقة بالصور مع 300 مرجع حول الموضوع، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، ط2، 1417هـ، 1997م.
- 02_عوف مخالفة، ترجمة سعاد خايلي، تاريخ الألبسة التقليدية الجزائرية، موقع النشر الجزائر، 2007.
- 03_يوسف نسيب، واحة بوسعادة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 2013.

المجلات والدوريات:

- 01_البكر محمد، الزينة في العصور القديمة، مجلة المأثورات الشعبية، العدد 27، 1990.
- 02_الحلي والمصوغات الجزائرية عبر التاريخ، وزارة الثقافة، تلمسان، 2011.
- 03_الحياة اليومية في مدينة الجزائر، المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، الجزائر، 2007.
- 04_زهدي بشير ، لمحة عن الأحجار الكريمة والجواهر القديمة ونماذجها في المتحف الوطني ، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد (4).
- 05_- معرض الفنون التقليدية، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 2011.
- 06- بولبوط ناصر الدين، الثقافة الشعبية والتقليدية في الجزائر، التراث غير المادي، الندوة الإقليمية حول تطبيق توصية اليونسكو بشأن صون الثقافة التقليدية والشعبية، بيروت في 10/12/1990.

الرسائل الجامعية:

01_ ايلانيت هاني عبد اللطيف عامر، الحلي والمجوهرات البيزنطية من مقبرة خربة ياجور، رسالة ماجستير

في الآثار، الجامعة الاردنية، 2004.

02_ صافية قاسمي، الاتصال غير اللفظي للمرأة الجزائرية عبر الحلي الفضية التقليدية، دراسة سيميولوجية

لحلي منطقتي بني يني بالقبائل وأولاد فاطمة بالأوراس، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة

بن يوسف بن خدة، 2006_2007.

03_ علي ريغتس، أحكام الحلي في الفقه الإسلامي، رسالة الماجستير في معهد الآثار، جامعة الأردن،

2000.

04_ هنادي سمير نامق كنعان، الحليات المعمارية في القصور العثمانية في البلدة القديمة بنابلس - دراسة

تحليلية، رسالة الماجستير في هندسة العمارة، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2010.

ثانيا: باللغة الأجنبية:

01-ben foughal (T), le bijoux ou fil des sicle, paris, 2003.

02-chevallier jet Debrant A, Dictionnaire des symboles, paris, 1974.

03-savary .jp, Anneaux de chevine, inlibyca.t.XIV,1966.

04-viver Marie finace, Algérie mémoire de femme au fil des doigts, paris, 2003.